

كيف يستعد العرب للتعامل مع التحولات الإقليمية العاصفة

الأمين العام لجامعة الدول العربية أحمد أبو الغيط لـ «العرب»: الثورات المصنوعة أدت إلى الفوضى والانتشار القومي



سفينة العرب تترنح فوق رمال السياسات الدولية المتحركة

يُمكن أن يختلفوا بعدها حول البدائل والسياسات، وحتى حول الأيديولوجيات والأفكار، تلك هي طبيعة التعددية. وتابع أبو الغيط "أما الخلاف على الدولة الوطنية نفسها، فلا يعني سوى الانتحار القومي والفوضى، وتسليم البلاد إلى عصابات طائفية وميليشيات كداعش وأخواتها، وأحمد الله كل يوم على أن بلدانا عربية كبيرة، في مقدمتها مصر، استطاعت تجاوز هذا الفصل الخطير من تاريخنا المعاصر، وتدعو الله أن تخرج بقية الدول التي لا زالت تعاني صراعات مدمجة وجراحا مفتوحة من هذا النفق المظلم في أقرب وقت ممكن".

تفاؤل بحل الأزمة الليبية

وسط تنامي الدور الروسي والتدخلات التركية في الأزمة الليبية بعد السورية، حاولت "العرب" معرفة موقف أبو الغيط من مغزى الحراك والاقصادي، ونحن لطلما أكدنا أنه لا يوجد أي حل عسكري للأزمة، وهذه التسوية يجب أن تكون ليبية - ليبية ووطنية خاصة، ووفق أسس جامعة يتوافق عليها الليبيين أنفسهم بشكل يحافظ على وحدة أراضي وسيادة الدولة وبعيدا عن أية تدخلات خارجية بمختلف أشكالها ومظاهرها".

أزمة ليبيا لن تحل عسكريا واتفق جنيف يشر بالحل السياسي والتسوية يجب أن تكون ليبية - ليبية ووطنية خالصة

وحول غياب الجامعة العربية عن هذه الأزمة وتفاعلاتها، أشار إلى أن الجامعة منخرطة ومشاركة في كل هذا الجهد، لكن هناك توافقا دوليا على أن تتم جهود التسوية تحت الرعاية الكلية للأمم المتحدة ويعتقد للدعم في ليبيا، وهو المنهج الذي نعمل في إطاره وتدعمه، وهو ما اتفق عليه أيضا المشاركون في مؤتمر برلين ومسارات متابعه خلاصاته وتضم الجامعة ومختلف الدول والمنظمات الإقليمية المعنية بالشأن الليبي. وأضاف "نحن نرحب بالتقدم الكبير الذي أمكن إقراره حتى الآن في سبيل تسوية الأزمة، إذ حقق الليبيون، سواء حكومة الوفاق أو الجيش الوطني، إنجازا مهما بتوقيعها على اتفاق رسمي للوقف الدائم والشامل لإطلاق النار يوم 23 أكتوبر الماضي في جنيف، واتفق المشاركون في ملتقى الحوار السياسي الذي رعته البعثة الأممية في تونس على خارطة طريق لتنظيم المرحلة التمهيدية

وبالنسبة إلى تدخل روسيا في عدد من الصراعات العربية، في سوريا وليبيا، واعتزامها وضع نواة لقاعدة بحرية في بورتسودان، هل هذا التقدم يمثل عبئا جديدا على العرب، وهل هناك إمكانية لتوظيفه بصورة إيجابية لضبط العلاقة مع أمريكا؟ هنا يؤكد الأمين العام للجامعة العربية، أن "روسيا لاعب مهم دوليا وأيضاً في المنطقة، لديها القدرات والإرادة للقيام بدور، ولديها أيضاً تاريخ ممتد من العلاقات مع عدد من الدول، ومواقف موسكو تستهدف المصالح الروسية في الأساس وهذا منطقي وأراما أيضاً تنطلق من رؤية واقعية، وتسعى إلى خلق نوع من التواجد الدائم في عدد من نقاط الارتكاز بالمنطقة".

وبطبيعة الحال، فإن حالة الفراغ الاستراتيجي التي يعاني منها الإقليم سمحت لأطراف كثيرة، منها الطرف الروسي، للقيام بأدوار أوسع من ذي قبل، وبالطبع العلاقة بين الولايات المتحدة وروسيا بالغة التعقيد والتشابك وهذا تميز بفترة قلقة مع بداية ولاية الرئيس الأميركي الجديد لأسباب مختلفة. وتذكر أبو الغيط أنه وسط هذه العلاقة المعقدة، تمثل المنطقة العربية ملغاً من ضمن ملفات عدة ملتهبة، وقد لا يكون أكثرها إلحاحاً. وعموماً، أثبتت روسيا خلال الفترة الماضية أنها طرف أساسي للحل في عدد من الملفات، على رأسها الملف السوري، وبالمناسبة، فهذا لم يبدأ مع إدارة ترامب، لكن بدأ مع إدارة أوباما، إذ حدث التدخل العسكري الروسي في سوريا في عهده، في سبتمبر 2015، ومثل نقطة تحول كبيرة في الدور الروسي على الساحة السورية، وفي المنطقة بوجه عام.

بعد عشر سنوات مما يعرف بثورات "الربيع العربي"، ماذا ربح العرب، وماذا خسروا جراء سلسلة الانتفاضات تجاه أنظمة الحكم؟ ذهب أبو الغيط إلى أن "خسارة العرب شاملة ومؤكدة وتثير في نفسي غصبة بلا شك، كل ما تحدثنا عنه من فراغ أممي وفوضى وتخبط استراتيجي هو حصيلته ما جرى في 2011، لا نظن أنني أنظر لما كان قائماً قبل هذا العام بوصفه زمناً ذهبياً أو فترة وريدي، ليس هذا ما أقصده، فالحقيقة أن عدة دول عربية كانت تعاني مشكلات خطيرة وهيكلية، لكن العلاج في تقديري لم يكن بالتطوير بل بالتطوير، والإصلاح والتحديث، أما ما حدث فلم يحل مشكلة واحدة، وإنما فاقمت الفوضى من المشكلات والقضايا، بداية من الفقر متعدد الأبعاد، وانتهاء بالمبالغة وتراجع النمو الاقتصادي، وحتى الإصلاح السياسي".

وأضاف أن أخطر ما جاء به عام 2011 يتمثل في زعزعة الشرعية التي تستند إليها الدول الوطنية، ومن ثم فتح المجال لتسوية أخرى دينية أو طائفية أو ميليشيائية، وهذا في واقع الأمر نوع من الانتحار السياسي، لأن الديمقراطية والتعددية لا يمكن أن تزدهرا سوى في إطار من الدولة الوطنية التي تجتمع أبنائها على مشتركات معينة، والاضطراب وعدم الاستقرار في المنطقة.

قدر كبير من الحكمة والخبرة في الشؤون الخارجية، وقد كشف ما نشر في العديد من المذكرات، منها مذكرات روبرت غيتس، وهيلاري كلينتون، وأخيراً مذكرات أوباما نفسه، أن مواقف بايدن بالذات في وقت الأحداث العاصفة في 2011 لم تكن متطابقة مع أوباما، بل كان أقرب إلى الفريق الواقعي في الإدارة". وعن أي الإرتين تترنح لها الجامعة العربية، الجمهورية أم الديمقراطية، وهل هو مستعد للتعامل مع إدارة ديمقراطية يمكن أن تكون مهادنة مع إيران أكثر من اللازم، أكد أبو الغيط أن "الجامعة العربية لا تنظر إلى الإدارة الأميركية على أساس حزبي على الإطلاق، وللعرب تجارب جيدة مع رؤساء من الحزبين، ما يهمنا منطلقات الإدارة ورؤيتها ونهجها في التعامل مع الأمور وليس لونها الحزبي".

تواجه الكثير من الدول العربية تدخلات لا تقل خطورة من قبل تركيا، والتي تسير على المنهج الإيراني في تكثيل الأوراق الإقليمية، واستخدامها في الاستفزاز والإبتزاز، ما وضع الجامعة العربية بين فكي رحى طهران وأقرة. ومع ذلك، تبنت قرارات مناهضة لهذه التدخلات، وأصبحت تركيا وإيران، بنذا أساسيا على جدول أعمال اجتماعاتها على المستوى الوزاري والقمي.

وبدت التصريحات التي أدلى بها بايدن حيال تركيا، تشير إلى أن هناك تغيراً في الاتجاه السلبي في التعامل مع الرئيس رجب طيب أردوغان، على عكس التوقعات الإيجابية مع إيران، فهل يستثمر العرب هذا الاتجاه؟

وقال أبو الغيط متسائلاً "ما هي مشكلة العرب مع الأتراك على المستوى الشعبي؟ لا شيء.. بالعكس أعتقد أن الأتراك من أقرب الشعوب إلينا ثقافياً وحضارياً بعيداً عن أية أمور سياسية، لكن المشكلة بالنسبة إلى الجانب العربي تتمثل في السلوك السياسي التركي، وهذا هو المحك الحقيقي لتحسين مجمل العلاقات.

وأوضح أن التدخلات التركية صارت أكثر اجتراراً وتهوراً مع الوقت، وهي حاضرة على أكثر من مسرح في منطقتنا، وتُمارس ما يشبه الخطة للهيمنة لها جوانب أيديولوجية وعسكرية واقتصادية، وأظن أن الإدارة الأميركية الجديدة عليها الانتباه إلى المخاطر التي تنطوي عليها سياسات أقرة، لأنها تغذي الاضطراب وعدم الاستقرار في المنطقة.

ومفهوم النظام الإقليمي يتطلب وجود رؤية مشتركة بين الأطراف حول القضايا الأساسية بالذات، وخاصة تلك التي تخص الأمن والسياسة الخارجية، وهو "ما لا أراه متوقفاً حتى اللحظة".

إيران تمارس تنمراً إقليمياً مكشوفاً تجاه الدول العربية عبر دعم جماعات التخريب وثمة وعي أميركي تجاه تدخلات طهران

وانتهجت إدارة ترامب منهجاً لا يُعنى من قيمة الحريات وحقوق الإنسان، ولم تضع هذا الملف في مقدمة أولوياتها، بينما أعلنت إدارة الرئيس الديمقراطي السابق باراك أوباما من شأنه، وهناك كلام عن أن بايدن يمكن أن يعود إلى طريق أوباما، ويقدم على خطوات نوعية فيه، ويجهله محدد في سياسته الخارجية.

وفي ظل هذه التقديرات، استفسرت "العرب" من أبو الغيط حول ما إذا كانت إدارة بايدن ستقوم بإعادة إنتاج رؤى أوباما، وهل الإخفاقات التي واجهها الرجل، ونائبه بايدن وقتها، تقود إلى الحديث عن تبدل في المواقف أم تعديلاً؟ وقال إن "إدارة أوباما تبنت رؤى رائتها في حينه، ولا زلت أرى أنها كانت شديدة السطحية تجاه المنطقة، ومنطلقة من أفكار مجردة منقطعة الصلة بواقع المنطقة ذاته، وبالاحتياجات الحقيقية لشعوبها، منهج ينطوي على نوع من الوصاية، ويفتقر إلى الرأية الكافية بالتاريخ وبالصعوبات الهائلة المرتبطة بعملية التغيير الاجتماعي والسياسي، فليس كل تغيير إصلاحاً، والتاريخ يخبرنا بعملية تغيير سياسي كبرى جرت تحت شعارات مثالية، ثم ما لبثت أن أفرزت أوضاعاً أسوأ بكثير من تلك التي ادعت ضرورة تغييرها".

ويعتقد الأمين العام للجامعة العربية أن بايدن لا يتبنى نهج أوباما حيال هذه الموضوعات بالذات، "أقول هذا من واقع خبرة شخصية مع الرجل، الذي أراه على



العالم تغير والجامعة العربية لم تتغير

جددت نتائج الانتخابات الأميركية التساؤلات الخاصة بفرض استئناف مفاوضات السلام والتوصل إلى تسوية سياسية حقيقية بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وفتحت الباب للحديث عن إمكانية تنفيذ حل الدولتين في ظل إدارة الرئيس الديمقراطي جو بايدن، والتي جاءت في ظل تطورات إقليمية عاصفة. ومن الواضح أن ثمة تغييراً متوقفاً تجاه الكثير من القضايا العربية، ما استدعى الأمر إجراء لقاء مع السفير أحمد أبو الغيط الأمين العام لجامعة الدول العربية، والذي ناقشت معه "العرب" تصورات بشأن مجموعة من الملفات، ودور الجامعة فيها، وتوقعاته ورؤاه في كل هذه الأجواء.

محمد أبو الغيط / مصطفى عبيد

القاهرة - كان من المقرر أن يتم هذا الحوار منذ حوالي شهر ونصف، غير أن الأمين العام للجامعة العربية، أحمد أبو الغيط، رأى تأجيله إلى ما بعد إجراء الانتخابات الأميركية، والتعرف على الساكن الجديد للبيت الأبيض، لما له من تأثيرات حيوية على المنطقة العربية. وتم اللقاء مع السفير أبو الغيط في مقر الجامعة العربية، صبيحة اجتماع مقدمته مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس (ابومازن) بالقاهرة مساء الأحد الماضي، ومن الطبيعي أن تستفسر "العرب" عن انطباعاته حول هذا اللقاء في ظل هذه الظروف بالغة الحساسية.

وقال أبو الغيط "كانت الحاجة ماسة لهذا اللقاء على ضوء نتائج الانتخابات الأميركية، والاستماع إلى تصورات ابومازن بشأن العلاقات مع إسرائيل، ومصير ملف المصالحة، وتأثير الأوضاع الإقليمية على القضية الفلسطينية، لأن وجود إدارة أميركية جديدة يفتح المجال أمام قيام واشنطن بدور أكثر إيجابية في عملية السلام والسعي إلى تنفيذ حل الدولتين".

وأضاف أن الجامعة العربية "ستظل داعمة لتفصال الشعب الفلسطيني وصموده من أجل استعادة حقوقه المشروعة وتحقيق السلام القائم على العدل، وخروج الدولة الفلسطينية المستقلة إلى النور وعاصمتها القدس الشرقية". وعن مصير صفقة القرن التي تبناها الرئيس الأميركي المنتهية ولايته دونالد ترامب، قال "في تقديري الخطة التي تبنتها وطرحتها الإدارة المغامرة لن تشكل منطلقاً للإدارة الجديدة في التعامل مع ملف عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، فنحن نعرف أن ترامب ومن حوله، كانوا يتعاملون مع هذا الملف برؤية معينة كانت تناقض الأساس الذي قامت عليه عملية السلام لعقود، ولا أقول إن عملية السلام ذاتها مقدسة أو لا يجب عليه يجب أن يكون غير خاضع للتعديل والاجتهاد والإلغاء كما رأينا".

تدويل أزمة سوريا والتدخل العسكري المباشر وغير المباشر لعدة أطراف عقد المشكلة ومنتظر توافاق لعودتها إلى الجامعة العربية

وأوضح أبو الغيط، أنه من الضروري أن يكون العمل على تنفيذ حل الدولتين، وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي، ويزوغ الدولة المستقلة، ورؤية ترامب كانت تنطوي على إحصاف كبير بالحقوق الفلسطينية، وميل غير مسبوق إلى المواقف الإسرائيلية اليمينية، كما أن الإجراءات الأميركية على أرض الواقع كانت معادية للفلسطينيين وسلبتهم الوطنية، وأعلنت انطباعاً واضحاً بالانحياز ضدهم، وجعلت من الصعوبة على أي طرف فلسطيني التعامل إيجابياً مع الأفكار التي تطرحها.

وأشار إلى أنه "في ضوء ما تعلمه من مواقف بايدن، أراه أقرب إلى الأسلوب الدبلوماسي الأميركي التقليدي المؤسساتي الذي عمل طوال عقود على رعاية عملية سلمية تنطلق من رؤية الدولتين، وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، وعدم شرعية الاستيطان، وهذه كلها مواقف تبنتها إدارات أميركية متعاقبة، سواء كانت جمهورية أم ديمقراطية".

مقاربات إقليمية متناقضة

رغم اقتراب رحيل إدارة ترامب، غير أن مشروع التطبيع الجديد بين بعض الدول العربية وإسرائيل، يبدو مستمرا، وقد يرتبط بمشروعات تعاون إقليمي،